

للدكتور حسن فتح الباب

دون ان يدري المدلول العلمي لما يقوم به . فالصانع والزارع والعامل كل منهم يخطط في موقعه ليومه وغده ، اذ يحدد مطالبه والتزاماته ، ويحدد ما لديه من قدرات وموارد للوفاء بها، مستعينا في ذلك بحصيلة تجاربه السابقة ، ومقدرا الظروف الطارئة المحتملة . فهو يخطط لتوفير ماكله ومشربه وملبسه ومسكنه ، ويخطط لعمله ، ويدبر أمره للوصول الى ما يبتغيه من أهداف ، وهو لا يني عن أعمال فكره في كل ما يعن له من أمور . والتخطيط هو ثمرة هذا الفكر ، ومن هنا كان فيصلا للتفرقة بين الحكمة والخطل ، وبين التخلف والتقدم .

ونظرا الى ان نجاح اي مجهود بشري يعتمد في المقام الاول على التدبير السابق له ومدى دقته وتوافر مقوماته ، فقد اجتهد الباحثون في تعريف التخطيط السليم وتحديد العناصر المكونة له ، واتفقوا بادىء ذي بدء على انه : نقيض الارتجال والتخبط ، وعكس الفوضى ، ووضعوا له تعريفات كثيرة بمعناه العام ، يختلف كل منها عن الآخر في صياغة العناصر التي يتألف منها

التخطيط بمعناه العام وعناصره :

من المسلم به ان التخطيط امر ضروري لازولة أى نشاط بشري مهما كان نوعه ، يستوي في ذلك ان يكون القائم به فردا أو جماعة ، وان يستهدف شأنا من شئون الدولة أو المجتمع أو الفرد ، وان يكون مجاله البحث النظري أو التطبيق العملي . وقد غدا التخطيط ملحا بارزا وطابعا مميزا لعالم اليوم ، بالنظر الى انه عماد التقدم في شتى المجالات . ومن ثم كان الاهتمام بأبحاثه ودراساته المتطورة حتى كاد يغدو علما قائما بذاته له قواعده واصوله التي يتميز بها .

واذا كان التخطيط — اصطلاحا — من مستحدثات العصر ، فانه — معنى — يضرب بجذوره في أعماق القدم . فقد اقترن بحياة الفرد وحياة الجماعة منذ كان الانسان على الارض، اذ انه نوع من القدرات العقلية التي منحها الله للانسان للحفاظ على الجنس البشري واستمرار الحياة عبر مراحل تطورها المتعاقبة . فالشخص السوي يباشر التخطيط تلقائيا في جميع خطواته وفي مختلف تصرفاته

مسارها بما يكفل تحقيق النتائج المرسومة .

ومفهوم بدها أن التخطيط يستخدم في شتى المجالات ، فثمة تخطيط اجتماعي، وتخطيط اقتصادي، وتخطيط ثقافي ، وتخطيط تربوي ، وتخطيط صحي الى غير ذلك . وهو يستخدم في اوقات السلم وفي اوقات الحرب . ولا بد للقائد المسؤول أن يكون ذا موهبة تخطيطية في المجال الذي يضطلع بمسئوليته ، فيحسن تقدير الاحتمالات والعواقب ، ويحسن تنظيم الموارد والامكانيات المتاحة وتنسيقها وتعبئتها في سبيل انجاز الغرض المستهدف في المكان والزمان المحددين . ومعيار نجاح المخطط هو تنفيذ الخطة بأقل قدر من التكاليف وأعلى مستوى من الاداء وفي اقصر مدة ممكنة ، وهو القدرة على الموازنة بين الموارد حسب امكانيات وافضلها استخدامها وبين الاهداف المتنافسة حسب اهميتها واولويتها النسبية .

التخطيط في الاسلام :

ان الاسلام هو دين التدبير والتفكير واعمال العقل للوصول الى الحق ، وهو يتناول أمور الدين وامور الدنيا ويرسم منهاجا للعلم والعمل والسلوك . فلا جرم أن يبحث على التماس الوسائل القويمة لنشر شريعة التوحيد والعدالة ، ويرسم الخطط الكفيلة بتحقيق هذه الغاية العليا . فرسالة الاسلام مرتبطة بحقائق الحياة ، مستهدفة هداية الفرد الى طريق الحق ، واصلاح المجتمع في كافة جوانبه . ولا سبيل الى بلوغ ذلك الا بالعلم ، فالعلم ركن ركين في المجتمع الاسلامي . ولما كان

التخطيط ، ولكنها تلتقي جميعا عند مضمون واحد . ويرجع تعدد هذه التعريفات الى ماهيته ومكوناته . ذلك ان التخطيط ليس علما من العلوم البحتة كالكيمياء والفيزياء والطب وغيرها ولا تحكمه مثلها قوانين ثابتة معلومة تنطبق في كافة الظروف والاحوال متى توافرت عوامل معينة، مثل ضرورة تكون جزيء من الماء من اتحاد ذرتين من الايدروجين مع ذرتين من الاوكسجين . ومن هنا نلاحظ ان تعاريفه كثرت وتعددت . وخلاصتها انه : التدبير الذي يرمي الى تحقيق هدف او اهداف محددة من طريق حشد الطاقات وتعبئة الموارد والقدرات واستنتاج ما يحتمل وقوعه من أمور من شأنها عرقلة تحقيق هذه الاهداف لمواجهة تلك الامور . وعلى ذلك ، فان التخطيط هو : اسلوب علمي وعلمي للربط بين الاهداف والوسائل المستخدمة لتحقيقها ، ورسم معالم الطريق الذي يحدد جميع القرارات والسياسات وكيفية تنفيذها ، مع محاولة التحكم في الاحداث المتوقعة باتباع سياسة مدروسة محددة الاهداف والنتائج

كما انه في ضوء هذه التعريفات يمكن تحديد مكونات التخطيط كما يلي :

● تحديد الهدف او الاهداف المنشودة في ضوء المبادئ المتفق عليها .

● اعداد وتنظيم الوسائل اللازمة لبلوغ هذه الاهداف .

● رسم اسلوب التنفيذ .

● محاولة الوقوف على الاحداث المحتملة للسيطرة — ما أمكن — على

العلم والعمل ، وانتشار حضارته في معظم أنحاء العالم ، وكان حجر الزاوية في البناء الفكري الإسلامي سواء في الميدان العقائدي أو الميدان الحضاري ، وأن يكون من أسباب ما يلبسه المجتمع الإسلامي من تطوُّر شامل في شؤون الإدارة والاجتماع والاقتصاد والحرب وغيرها .

مدلول التخطيط في غزوة بدر

نود ان نشر يادى ذي بدء الى اننا اذ نتناول التخطيط لتحقيق النصر في غزوة بدر لا نعني التخطيط بمفهومه العلمي الحديث القائم على الدراسات العلمية والتحليلات الإحصائية نظرا لان العصر الذي جاء فيه الاسلام لم يكن يعرف الاحصاءات والاساليب العلمية التي نعرفها اليوم . وانما نتناول التخطيط لبدر بمعناه العام الذي سلفت الاشارة اليه ، وهو التفكير والتدبير قبل العمل ، وإعداد العدة قبل التنفيذ ، والقدرة على استشفاف العوامل المتغيرة والنظر الى المستقبل ، ومواجهة ما عسى ان يأتي به من احداث تد تعوق الخطة او تتطلب تعديلها . وهذه الدعوة الى التخطيط لدحر العدو وارادة بنص صريح في القرآن الكريم لقوله تعالى (**واعدوا لهم ما استخفتم من قسوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) الانفال / ٦٠ .

الغاية والوسائل الموصلة اليها

ان المقصد الاسمي للاسلام هو نشر دعوته في العالمين ، تلك الدعوة التي تقوم على التوحيد ، فلا اله الا الله ومحمد عبده ورسوله ، واقامة شريعته بأركانها القوية في العبادة والمعاملة . والاصل هو نشر العقيدة

والعلم والتخطيط صنوين متلازمين فان التخطيط يعد بدوره أساسا من أسس هذا المجتمع .

والاسلام دين ودولة ، واذا كان الدين يقوم على الفكر المتحرر من الأوهام والخرافات فان دولة الاسلام تتخذ من الفكر عمادا لنهضتها ، ومن ثم كان التخطيط منهجا اساسيا لها . وليس ادل على ذلك مما اجمع عليه الباحثون والمنصفون على اختلاف عقائدهم من ان الثورة الفكرية والعلمية كانت الدعامة القومية التي استندت اليها الدعوة الاسلامية في الوصول الى التمكين لدين الله في الارض واقامة مجتمع جديد يقوم على ربط الارض برسالة السماء من طريق صلاح النفس وصلاح المجتمع . كما كانت الدعامة القومية التي قامت عليها الدولة الاسلامية في عصور ازدهارها .

والاسلام دين العمل ، فالعمل واجب على كل فرد ، وهو قيمة اساسية في العقيدة الاسلامية ، شأنه في ذلك كسائر القيم التي يدعو الاسلام الى اعتناقها، وهو اصل يتفرع منه كثير من المثل العليا ، لانه السبيل الى تحرير النفوس من ذلة المساءلة والاعتماد على الآخرين ، بمعنى انه السبيل الى تكوين الشخصية المستقلة شخصية الفرد وشخصية الأمة . ولا يمكن تصور العمل بغير تخطيط له . ومن ثم كان التخطيط أساسا في الاسلام سواء على مستوى الفرد او على مستوى المجتمع او على مستوى الدولة .

وتأسيسا على ذلك ، فان التخطيط كان احد الاسباب الجذرية التي أدت الى تثبيت عقيدة الاسلام القائمة على

عدالتها وشرعيتها . فلقد بدأ المشركون بالعدوان واضهروا مطاردة الدعوة في المدينة بعد أن لاذ بها الرسول وأصحابه فرارا بدينهم ، ليجتثوا عودها الذي بدأ ينمو ويشتد بعد أن فشلوا في وأذ بذرتها الأولى في مكة . وبعث الرسول عبد الله بن جحش الاسدي ومعه جماعة من المهاجرين ليستطلع اخبار قريش حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة ، وكانت تلك خطة النبي القائد في جميع الوقائع العربية التي خاضها ، خطة عناصرها اليقظة والترقب والحذر والحساب الدقيق للقوى المعاونة والقوى المضادة ، وافتراس مختلف المواقف والاحتمالات المنتظرة في بدء المعركة وفي سيرها وتطورها وكل ما يندرج تحت مصطلح التدبير المحكم السليم .

وكانت سرية عبد الله بن جحش هي النواة الأولى في تاريخ الجيش الاسلامي لقوة الاستخبارات او المخابرات كما نسميها اليوم . وقد حققت هذه القوة عبر التاريخ الممتد للمعارك الاسلامية المظفرة نجاحات رائعة تشهد بكفايتها واسهامها في كسب تلك المعارك . وترجع هذه الكفاية الى حسن اختيار رجالها وحسن تنظيمهم والتخطيط لعملياتهم تخطيطا قائما على الخبرة واستخلاص الدروس من الوقائع السابقة ، ووضع الامور في مواضعها الصحيحة والامر في المواقع المناسبة .

وتروى وقائع غزوة بدر فيما يتعلق بأسبابها المباشرة او الشرارة التي بدأت بها انه مرت بسرية عبد الله بن جحش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمي ، وكان ذلك في

بالطرق السلمية . أما الحرب فهي مشروطة بقصد حماية الدعوة والدفاع عن النفس . ولذلك حض الاسلام على انتهاج الوسائل الودية : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) النحل / ١٢٥ ، كما حض على الجهاد اذا لم يجنح الكافرون للتسليم ، وعمدوا الى العدوان والصد عن دين الله الحق ، ولذلك اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة اسلوبا لنشر الدعوة وسبيلا الى تأليف القلوب ، وجعل منها دستورا لكل ما يتعلق بمعاملاته وعلاقاته مع القبائل في الجزيرة العربية ومع الامم والشعوب المجاورة ، وتجلي ذلك في محاوراته ومجادلاته مع المسيحيين واليهود وعباد الاوثان ، كما تجلى فيها سطر من كتب وأوفد من بعوث الى القبائل العربية والى رؤساء الدول المجاورة وملوكها ، وفيما نظمه من مؤتمرات واجتماعات ، وما عقده من معاهدات . كما اتخذ الرسول الكريم اسلوب الحرب والجهاد في سبيل الله تمكينا لحرية العقيدة وتأمينا للمجتمع الاسلامي ، مضطرا بذلك الى حمل السيف دفاعا عن أولئك الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا . ولقد سلك في هذا الجانب العسكري مسلكا أخلاقيا كريما لم تصل اليه المدنية الحديثة رغم مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على رسالة هذا النبي الكريم .

مقدمات غزوة بدر

كانت غزوة بدر حربا « دفاعية » كسائر غزوات الرسول ، او كانت بتعبير ادق حربا « وقائية » لتأمين حرية العقيدة ، ومن هنا استهدمت

اثارة للنفس وبعثا لروح الانتقام العادل من استعباد الاحرار لا لسبب الا انهم قالوا : ربنا الله . فكريش هي التي بدأت بالعدوان ، ومن ثم اصبح الاحتكام بينها وبين المسلمين للسيف . وذلك هو حكم القرآن الذي نزلت به الآية الكريمة فكانت فصل الخطاب .

وكان نزول هذه الآية حافزا للمسلمين قوى روحهم المعنوية ، ففكروا في استخلاص أموالهم من قريش بغزوهم وقتالهم . وقد عجل بغزوة بدر ان قريشا حاولت اثاره شبه الجزيرة العربية كلها على محمد واصحابه ان قتلوا في الشهر الحرام حتى لقد ايقن محمد عليه السلام انه لم يبق في مصانعتهم او في الاتفاق معهم رجاء . فلما خرج ابو سفيان في تجارة الى الشام حاول المسلمون قطع الطريق عليه ، ولكنه نجا في الذهاب فانتظروه في عودته . فلما علمت قريش خرجت الى بدر لقتال المسلمين .

حشد الطاقات المعنوية للجهاد

ان عماد اية خطة جديدة — كما نوهنا — هو حشد الطاقات وتعبئة القوى الروحية والمادية جميعا في سبيل تحقيق الهدف . واذا لاحظنا ان غزوة بدر قد وقعت في السنة الثانية الهجرية فلم يكن قد مضى وقت كاف لتجهيز جيش محارب موفور العدة والعدد لا سيما ان رسول الله كان منصرفا الى بناء المجتمع الاسلامي بالمدينة ادركننا ان المسلمين لم يكونوا مكتملي الاستعداد من ناحية الاوضاع العسكرية ومن الناحية الاستراتيجية العامة . فكان امام محمد عليه الصلاة والسلام ان

شهر رجب من السنة الثانية للهجرة . فذكر افراد السرية ما صنعت قريش بالمهاجرين وما حجزت من أموالهم ، فأجمعوا على قتل من قدروا عليه من المشركين وأخذ ما معهم ، ورمى احدهم عمرو بن الحضرمي فقتله ، وأسر المسلمون رجلين من قريش . وحين قدمت السرية المدينة على الرسول قال لهم : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . ولام اصحاب الرسول اخوانهم من المسلمين على ما صنعوا ، واذ ذلك نزل قوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) . البقرة / ٢١٧ .

واذا كانت سرية رسول الله هذه قد هاجمت القرشيين وقتلت منهم وأسرت ، فإن ذلك لا يفي ان مقصدها كان المناوشة لا الدخول في حرب ، او كان مقصدها هو استعراض القوة حتى تثوب قريش الى رشدها ، بيد انها لم تقف عند الحدود المرسومة لها لسبب يكاد ان يكون خارجا عن إرادتها ، وهو تذكر رجالها ما نالهم من اذى واضطهاد بمكة على ايدي الفئة الباغية من قريش ، فأهاج هذا التذكار شجونهم ، وأثبت في نفوسهم فكرة الثأر من اعدائهم الذين وقعوا تحت ايديهم وفي مرمى اسلحتهم والذين اجبروهم بعد اخراجهم من ديارهم على اتخاذ هذا الموقف . ومن ثم لم يكن هجومهم مسبوqa بتعمد عدواني وهو ما يطلق عليه قانونا سبق الاصرار ، بل كان بدافع نفسي قوي لا يلام المرء عليه . فليس أشد

محمد من حيث اتى طمعت قريش وطمعت يهود المدينة فيه ، واضطر الى موقف المصانعة ، واضطرب اصحابه الى ان يحتلوا من اذى يهود المدينة مثل ما احتملوا من اذى قريش بمكة . وهيهات ان هو وقف هذا الموقف ان تعلق كلمة الحق وان ينصر الله دينه .

واستشار الرسول الناس ، واخبرهم بما بلغه من امر قريش ، فأدلى ابو بكر وعمر برأيهما ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » . وسكت الناس فقال الرسول : « اثيروا علي ايها الناس » ، وكان يريد بكلمته هذه الانتصار الذين بايعوه يوم العقبة على ان يمنعوهم ما يمنعون منه ابناهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم . فلما أحس الانتصار انه يريدهم ، وكان سعد بن معاذ صاحب رأيهم ، التفت الى محمد وقال : « لكأنك تريدنا يا رسول الله » . قال : اجل . قال سعد : « لقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر في الحرب ، صبر في اللقاء . لعل الله يريك ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » . ولم يكده سعد يتم كلامه حتى اشرق

يستعيض عن كثرة العدد والعتاد بقوة الروح المعنوية من طريق تنظيمها وتعينتها مصداقا لقوله تعالى : **(فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين)** الانفال / ٦٦ .

وقد استن الرسول اقوم اسلوب لتحقيق تلك القوة الروحية ، وذلك بالتزام المبدأ القرآني الذي جاء في قوله تعالى : **(وأمرهم شورى بينهم)** الشورى / ٣٨ . فالى جانب المدلول الديمقراطي المثالي لهذا المبدأ فان رفع الروح المعنوية ، اذ يصبح كل فرد في الجماعة هو صاحب القرار الذي استشير في شأنه ، فيغدو ايمانه بصحته قويا وعمله في سبيل انجازه كاملا . ومن ثم لم ينفرد محمد بالرأي والقرار وانما شاركها اصحابه فيه . وتفصيل ذلك - كما جاء في كتاب حياة محمد للاستاذ محمد حسين هيكل وغيره من كتب المغازي - انه بلغ الرسول ان قريشا قد خرجوا من مكة ليمنعوا عيرهم التي عاد بها ابو سفيان ، واذ ذلك تغير وجه الامر ، فلم يبق هؤلاء المسلمون مهاجروهم والانتصار امام ابي سفيان وغيره والثلاثين او الاربعين رجلا معه ، لا يملكون مقاومة محمد واصحابه ، بل هذه قريش خرجت كلها وعلى رأسها اشرافها للدفاع عن تجارتها . فهب المسلمون ادركوا ابا سفيان وغلبوا على رجاله وأسروا منهم من أسروا واقتادوا ابله وما عليها ، فلن تلبث قريش ان تدركهم ، يحفزها حرصها على مالها والدفاع عنه وتؤازرها كثرة عديدها وعددها ، وان توقع بهم ، وان تسترد الغنيمة منهم او تموت دونها . ولكن اذا عاد

الواحد البعير مدة ثم ينزل ليعقبه الآخر - كل اثنين منهم وكل ثلاثة وكل اربعة يعقبون بعيرا . وفي هذه المسيرة ضرب الرسول اروع مثال في القدوة الحسنة ، إذ ساوى نفسه عليه السلام بسائر اصحابه وجعل حظه كحظهم ، فكان هو وعلي بن ابي طالب ومروان بن مروان الغنوي يعقبون بعيرا . وكان ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعقبون بعيرا . ووضع النبي خطة إدارية لتدبير شئون المدينة في غيبته هو وجنوده للجهد ، وأسلوب الصحابة المجاهدين في المسيرة ، كلاهما يدل على القدرة على التنظيم السليم ووضع طرائق العمل السديدة . وهذا التنظيم عنصر أساسي من عناصر التخطيط ، وهو بذلك ركيزة من ركائز النجاح في جميع الأعمال .

التخطيط لتحديد مكان المعركة :

اشترقت الشمس والنبي وصحبه ما زالوا في انتظار مرور ابي سفيان بهم ، فاذا طلعت استخبارهم تنبئهم انه ماتهم وان المحاربين من قريش هم الذين ما يزالون على مقربة منهم ، فاجمع المسلمون امرهم بعد المشورة على ان يصمدوا للعدو إذا اجمع مقاتلتهم . لذلك بادروا الى ماء بدر ، ويسر لهم مطر ارسلته السماء مسيرتهم اليها . فلما جاءوا ادنى ماء منها نزل النبي ، وقال احد اصحابه وهو الحباب : « يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزلا انزلك الله فليس لنا ان نتقدم ولا نتأخر عنه ، ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ » قال محمد : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » . قال : « يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس

وجه محمد بالمسرة ، وبدا عليه النشاط ، وقال : « سيروا وابشروا فان الله قد وعدني احدي الطائفتين ، لكاني الان انظر الى مصارع القوم » . نسبه ابن كثير الى ابن اسحاق وغيره .

فالنبي الكريم لم يأمر المسلمين بالقتال ، ولم يمل عليهم ارادته ، مع انه القائد الذي يأمر فيستجاب له ويفتدى بالنفس والنفيس . بل أتر ان يستشير رجاله - والانصار منهم خاصة - فيما هم مقبلون عليه : انكوص عن مواجهة قريش الجائرة ، ام اقدام على الحرب في سبيل العقيدة ؟ فجمعهم وعرض عليهم الظروف المحيطة بهم وترك لهم الخيار وهذا هو الموقف القيادي الأمثل . فالرائد الملم هو الذي يحرص على ان يجعل قضيته هي قضية أتباعه جميعا ولا تخصه هو وحده ، لان الانسان اذا دافع عن قضية هو مقتنع بها دافع بحرارة وایمان وصلابة حتى يبلغ مرحلة الاستشهاد اذا اقتضى الامر ، واذا ذلك تنتهج الجماعة طريقا قد ارتضته لنفسها ولم يفرض عليها فيكون الفوز حليفها ، لان الايمان هو اكبر حوافز النفس البشرية ، ومن ثم درع النصر .

خطة المسيرة والاستخلاف على المدينة

خرج النبي مع اصحابه من المدينة - بعد اتخاذ قرار القتال - لثمان خلون من شهر رمضان ، وعهد الى عمرو بن ام مكتوم فيها ان يؤم الناس في الصلاة ، والى ابي لبابة بولاية المدينة والقضاء في المصالح . وكانت امام المسلمين في مسيرتهم رايتان سوداوان . وخابت ابلهم سبعين بعيرا جعلوا يعقبونها - اى يركب

ساعات الحرج ومواقف التضحية لتحقيق النصر :

لقد تصدى عبد الرحمن بن ابي بكر - ولم يكن قد اسلم بعد - لابيه ابي بكر الصديق يريد ان يقتله ، فما هاب صاحب رسول الله الموقف ولا تردد ، بل اقبل شاهرا سيفه في وجه ولده لولا ان دعاه الرسول الى الإبقاء على نفسه فإن الإسلام في حاجة اليه . كما واجه ابو عبيدة عامر بن الجراح مثل هذا الموقف حين التقى بأبيه في ساحة القتال ، فهم الأخير بقتله فقال له : يا أبت اغرب عني حتى لا يقال ان أبا عبيدة قتل أباه . ولكن الجراح اصر على المناجزة ، فقال له ابو عبيدة إن رابطة الله وإيمانه به أقوى من أبوة أبيه له ، ورفع سيفه فأرداه قتيلاً . وتسقط رعوس أخرى لقريش ، ولكنها لا تستسلم بل تصر على مواصلة الحرب بما جبلت عليه من مكابرة وتمادي الباطل ، ولما كانت تدركه من ان تلك الموقعة قد تحدد مصرعا ، فلما ان تنتصر فتظلم مستمتعة بنفوذها محققة اطماعها ، ولما أن ينتصر محمد وأتباعه فتكتب عليها الذلة والمسكنة . وهكذا تدور رحى الحرب وقريش تصعد لها - وهي تملك التفوق العددي على المسلمين - في ضراوة ووحشية ، وقد اشعل نار عداوتها ما شهدت من مصارع صفوة مقاتليها وزعمائها . ويواجه النبي الموقف العصيب بالعمل المناسب ، اذ يتجدد ويثير حوافز رجاله لامتلاك ناصية الحرب بالمقاومة والشجاعة والتضحية حتى الموت ، وهو يدعو الله : « اللهم هذي قريش تد اتت بخيلائها تحاول

حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم تغور ما وراءه من القلب - أي نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون » . ولم يلبث محمد حين رأى صواب الخطة التي اثار بها الحباب ان قام ومن معه وأتبع رأي صاحبه ، معلنا الى قومه انه بشر مثلهم وان الرأي شورى بينهم ، وانه لا يقطع برأي دونهم ، وانه في حاجة الى حسن المشورة من صاحب المشورة الحسنة منهم .

وهكذا استقر الرأي على قتال العدو لتحقيق أهداف الرسالة السماوية السامية ، واتخذت الخطة المناسبة لذلك بتنظيم الرسول مسيرة المجاهدين بعد تنظيم المجتمع في المدينة ، وباختياره موقع المعركة في المكان الذي ارتضاه جنود الحق ساحة للحرب ليدير منه القتال . واستمر النبي عليه الصلاة والسلام يشحذ هم أصحابه لمضاعفة قدراتهم القتالية ، ذلك لان قوة الايمان بالهدف هي اس نجاح الخطة وإحراز النصر . والانسان المؤمن يملك طاقات لا حد لها ، ويملك بذلك سلاحا لا يفل مهما رجحت كفة العدو في التجسيد والتسليح . وقد حقق هذا الأسلوب غايته . فقد التحم الجمعان ، وحمى وطيس القتال ، واذا بالمعجزة البشرية تتفجر من أعماق الارواح المؤمنة ، معجزة الانسان حين يضحي برابطة الدم والقربى في سبيل رابطة العقيدة . فما هوذا الولد ينبري ليصارع والده بسيفه وهو يعلم أي كرب يلحق به اذا قتله واي حزن يعانیه من بعده . ولكنه الولاء الصادق للمبدأ يمسو على كل ولاء ويقوى حتى يغلب الغرائز والنوازع .

الصابرين (الأنفال / ٦٥ و ٦٦ .

وينتصر الحق ، ويخفق علمهم
الاسلام فوق بدر ، ويبوء الظالمون
بخزيهم لم ينالوا خيرا . وتسفر غزوة
بدر الكبرى عن آثار بالغة الأهمية في
تاريخ نجاح الدعوة الإسلامية
وانتشارها ، حتى انها تعد نقطة
تحول فاصلة بين عهدين : عهد الباطل
والظلام والطغيان ، وعهد الحق
والعدالة والايان . ومن ثم سماها
الله تعالى في كتابه العزيز : «يوم
الفرقان» . كما تعد نقطة انطلاق
للانتصارات الإسلامية الكبرى ، فقد
خاض بها الاسلام غمار أول صراع
حربي له مع اعدائهم . فكانت تجربة
رهيبه حاسمة ارتبط بنجاحها
مستقبل الاسلام باستقرار الامر
للمسلمين — بعد فترة وجيزة من
الزمن — في بلاد العرب جميعا تحت
ظلال عقيدة التوحيد ، وكانت بذلك
مقدمة الامبراطورية الإسلامية ذات
الحضارة الانسانية الخالدة .

وليس ثمة مرء في ان نصر الله
كان العامل الاول في فوز المسلمين،
وان من وراء هذا النصر اسبابا من
المسلمين انفسهم لان الله لا يغير
ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .
فالانسان في الاسلام هو الذي
يريد ويختار بمعنى انه هو الذي
يخطط ويتدبر امره . ومن ثم كان
التخطيط السليم الذي انتهجه
الرسول القائد عليه السلام — كما
بيننا — من اهم العوامل التي أدت الى
نصرة المسلمين على اعدائهم وارساء
دعائم الدولة الإسلامية الوليدة في
المدينة المنورة ، تلك الدولة التي
توسعت حتى شملت معظم ارجاء
العالم المعروف في ذلك الحين .

ان تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي
وعدتني . اللهم ان تهلك هذه
العصاة — اي جماعة المسلمين —
اليوم لا تعبد . والمؤمنون من حوله
صامدون والموت محيط بهم متملا في
سيوف المشركين الذين ييلفون اضعاف
عددتهم ، ولا يرتابون مع ذلك في النصر
الذي وعدهم الله على لسان نبيه ،
بل يشفقون على الرسول من فرط
اشفاقه على امر المسلمين اذا لم
يتم لهم النصر ، فيقول له ابو بكر
وقد جعل من ورائه يرد على منكبيه
رداءه الذي سقط من شدة ضراعتيه
وهو يهيب بربه مادا يديه ملتصقا
الفوز : « يا نبي الله بعض مناشدتك
ربك ، فان الله منجز لك ما وعدك» .

ثم يتوجه رسول الله الى المؤمنين
يحرصهم على الثبات في القتال ،
ويبشرهم بالنصر ، ويذكرهم بعاقبة
الابطال المستشهدين فيقول :
« والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم
اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا
مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة» .
ابن اسحاق ، ويزداد المسلمون قوة
بفضل ايمانهم الراسخ وحفز رسول
الله لهم بما يقوى عزمهم وهو
يقودهم في معركة الحق مع الباطل .
وترتفع روحهم المعنوية فيبلون احسن
البلاء ، ويقهر الذين كانوا مستضعفين
في الارض عتاة الشرك المتجبرين .
وفي ذلك يقول الله تعالى : (يا ايها
النبي حرض المؤمنين على القتال
ان يكن منكم عشرون صابرون يفتلوا
ماتنين وان يكن منكم مائة يفتلوا
الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا
يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يفتلوا ماتنين وان يكن منكم
الف يفتلوا الفين باذن الله والله مع